



إشكالية كبيرة تواجه العمل الإسلامي، وعائق من عوائق المسار الدعوي، وحالة من حالات التفريغ المصابي، وصورة من صور المعاناة، في بعض شعب العمل الإسلامي، حماسة في غير محلها، عاطفة من غير رشد، اندفاع بلا حساب للعواقب، ويأتي هذا غالباً، بعد العناء الكبير، واستفراغ الوسع، والجهاد بمعناه الشامل.

(خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) (الأنبياء:37).

فكم خرب الاستعجال من خطة!

وكم ضيع من فرصة! وكم جرّ الحركة إلى مواقف لا تريدها! ولا خططت لها!

وكم كلفت مواقف الاستعجال وقراراته، الحركة الإسلامية، من فواتير باهضة الثمن!

وكم تسبب الاستعجال في سلوكيات، أعقبها ندم شديد، ولا ت ساعة مندم!

حقاً في العجلة الندامة، وفي الأناة السلامية؛ "وما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه"، ومن بالرفق بالفرد والأسرة والمجتمع والدولة والجماعة والحركة، الأناة، والطبع على نار هادئة، للقضايا المفصلية والمهمة، وعدم الاستعجال.

لذا من الحكمة ألا تعتمد القرارات المفصلية، إلا بعد أن تمر على عدة مطابخ للقرار، فإن يتأخر القرار قليلاً، في مطبخ الإنضاج له، خير من إخراجه نيناً، يؤدي باكله إلى دهاليز المشكلات، ونواتج الكوارث.

الاستعجال آفة:

نعم إنها آفة بالغة الخطورة، تأتي على محاصيل العمل من ألفها إلى يائها، في بعض الأحيان، وتحصد كثيراً منها في غالب الأحيان، إنها زفة المسارعة، من أجل تحصيل المفادة، فلا الزفة بقيت، ولا المفادة حصلت.

في زحمة الصعوبات الأولى التي واجهت أبناء الإسلام، أيام رسول الله - صلى الله عليه وأله وصحبه وسلم - رغم المحن العظيمة، والعذاب الأليم الذي يصب على الصحابة الكرام، يحزننا عليه الصلاة والسلام من الاستعجال، ويوصف هذا الداء، لتكوين الأمة على درب السلامة، فلا تقع في هذا المرض، جاء في صحيح البخاري، من حديث خباب - رضي الله عنه - قوله - عليه الصلاة والسلام - : "كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيها، في جاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشق اثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمكن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صناعه إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمته، ولكنكم تستعجلون".

ولكنكم تستعجلون في قطف الثمرة، ولكنكم تستعجلون في استبطاء النصر، ولكنكم تستعجلون بطلب حرق المراحل، ولكنكم تستعجلون بطلبكم وقوع كبريات الأحداث، بين عشية وضحاها، ولكنكم تستعجلون دون النظر إلى استحقاقات الزمن، والسنن الكونية، ولكنكم تستعجلون لأن المرء بطبعه يريد حاجته بصورة سريعة، وقد تحققت على عجل.

والقاعدة الشرعية تقول: "من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه"، هذه القاعدة الذهبية لها تطبيقات كثيرة، وفي مجالات مختلفة، عمادها تحقيق مقاصد الشريعة، وسد الذرائع، وتحقيق فقه النواتج، والبحث في الملايات، والنظر السليم في مفردات السياسة الشرعية.

أسباب الظاهرة:

من أبرز أسباب ظاهرة الاستعجال، ما يأتي:

1- العاطفة المجردة، والتهييج النفسي، دون الأخذ بأسباب التغيير.

2- الوعود التي بقيت حبيسة الذهن، إذ في كثير من الأحيان تحشى القلوب والأذهان بالأمانى الحالمة، ولما لم تتحقق، تكون نتوءات الاستعجال، التي تبحث عن اختصار الطريق، للوصول إلى تلك الأهداف الحالمة، فيقع الخطأ.

3- عدم وجود الخطط الواقعية المزمنة، التي تدرس الماضي، وتفقه الواقع، وتستشرف المستقبل، من خلال رؤية سليمة، ونظر سديد، وقيادة فاعلة.

4- غياب التفاعل والتكامل بين أجيال العمل الإسلامي، الذي يجب أن يكون بين حماسة الشباب، وحكمة الشيوخ.

5- استدراج الأعداء: وهذه لغة، معروفة قديماً وحديثاً، ولا يدرك أبعادها إلا من كانت له دراية بفنون العمل، ودرية على أصول التعاطي مع الأحداث، من خلال الفهم السياسي، والحس الأمني، والمعرفة المبصرة لطرائق التورط، وكيفية اجتنابه.

6- ضعف فقه الواقع، وسوء تقدير الموقف، وعدم الإلمام بالحدث من كل أطرافه، والنظر إليه من زاوية من الزوايا، دون النظر إليه من زواياه كلها.

7- نقص التربية السليمة، التي تبني على الصبر والمصابر، والمجاهدة والمرابطة، والعمل على النفس الطويل، وعندنا العامة يقولون عن مثل هذا الإنسان: "بصلته محروقة".

توصيات وتنبيهات:

1- الحذر من سيطرة العاطفة المطلقة، والهيجان الفكري، على خططنا وبرامجنا وجداول أعمالنا، فهذا أكبر المصائب ورأسها، فمن تسيطر عليه العاطفة، ويعمل ببرود الأفعال، ويستجيب للاستفزازات، لا يصلح أن يكون قائداً، ولو كان صواماً قواماً، من أهل الفضل والخير، فهذا عيب، يغطي على كل إيجابية.

فلا بد من الموازنة الدقيقة، بين العقل والعاطفة، فلا إفراط، ولا تفريط، وخير الأمور أواسطها.

وفي هذا يقول الإمام البنا ويوصي: "الجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الواقع في أضواء الخيال الزاهية البراقة، ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالملعقة، ولا تصادم نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر وما هي منكم بعيد..".

2- إياكم والاستعجال في ضم الجدد للعمل، من غير تمحيص ودقة اختيار، بقصد التجميع، وتكثير العدد، والombaها في الكثرة، فهذا سيجر عليكم الوييلات، في الأيام القابلات، فالعبرة بالكيف، لا بالكم، وتبقي الدعوة العامة، مفتاح خير لكل الناس، مع الخدمة بروحية الصبر، على قطف الثمرة، فلا تستعجل على رزقك.

3- لا تقدموا للقيادة إلا من اشتَدَ عوده، وقوى ساعد العمل لديه – طبعاً هنا لا يعني السن – فإن من حملته ما لا يطيق، قسمتَ ظهره، فلا تستعجل عليه، واتركه ينضج، ولم العجلة؛ وفي الأمر فسحة.

4- نحن بحاجة إلى القائد المكيث، وهي صفة من أهم صفات القائد، هذا في الفرد، وفي الجماعة، توافر هذا الشرط أولى، آن للعاملين للإسلام، أن يعتمدوا الخطط "الاستراتيجية" ذات النفس الطويل، والمديات الفطرية، وعلينا أن نتخلى عن الخطأ الطفيف بلغة "كبسة الزر" ونظن أننا بهذا سوف نفعل الخوارق، ونحقق ما لم تستطعه الأوائل.

5- من الاستعجال انسياقنا وراء يوارق النصر ومقدماته، دون التأكد من ثبوت المركب الجديد، فنحرق كل مراكبنا، ونكسر سائر جسورنا.

تجربة وكلمات مهمة ونظر صحيح:

يقول الإمام البنا – رحمه الله – في "رسالة المؤتمر الخامس": "أيها الإخوان المسلمين وبخاصة المتمحمسون المتعجلون منكم، اسمعواها مني كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع: إن طريقة هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده، ولست مخالفًا هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول، أجل قد تكون طريقاً طويلة ولكن ليس هناك غيرها.

إنما تظهر الرجلة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات، ومن صبر معه حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطايف فأجره في ذلك على الله، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين: إما النصر والسيادة، وإما الشهادة والسعادة".

وفي الختام.. لا بد من ثلاث ملاحظات:

1- ذم الاستعجال لا يعني الفتور والضعف، وبطء الأداء، وإطفاء جذوة الحماسة، بل بالعكس من هذا تماماً، فطوبى لمن جمع بين أناة الخطط والبرامج، وبين العمل المتواصل الدؤوب، نعم نحن في زمن السرعة، وقطار التغيير، لا ينتظر الكسالى والراقددين، ولكن الحذر من العجلة، التي تبدد الطاقات، وتهدر الأموال، وتقوض الأبنية، وتفوت فرص الخير، وبهذا وذاك تكون المعادلة صحيحة وحلها يسيراً، ونمسي على بركة الله وعونه.

2- نحن هنا نتكلم عن الوضع الطبيعي، الذي تعبدنا الله به، والقائم على جهد البشر، الذين لا يوحى إليهم، ولا يعلمون الغيب، مع إيماننا المطلق، بأن الأمور بيد الله تعالى، الذي إذا أراد شيئاً، أن يقول له: كن فيكون، والتوفيق الإلهي، رأسمال كل خير ونعمته.

3- الرؤى والأحلام، والفراسة والتحديث، وانتظار الكرامات – رغم إيماننا بها، على مذهب أهل السنة والجماعة – لا تبني عليها خطط وبرامج، ولا يربط مصير أي حدث بها.

مجلة المجتمع

المصادر: